جمعية معلم المدينة

أعرفت أنك في المدينة؟

محاضرة ألقيت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عام ١٤٠٣هـ

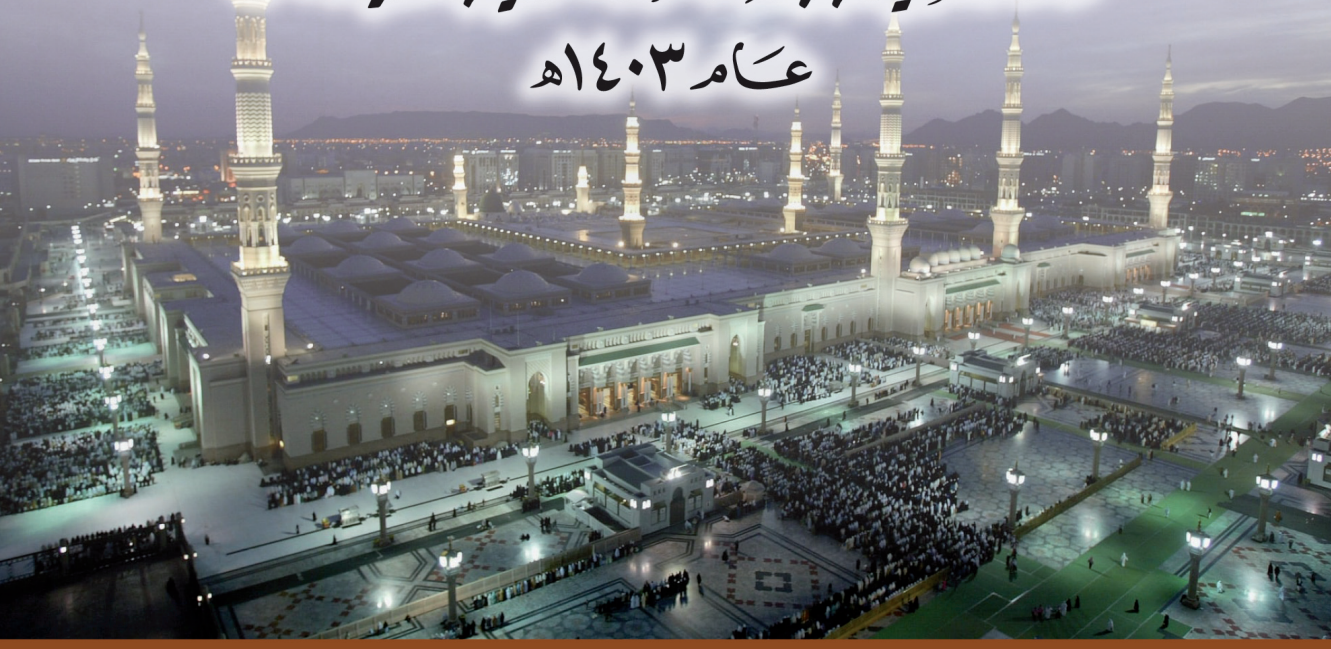

الشيخ

عبد الفتاح بن سليمان العشماوي رحمه الله

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف

دراسة وتحقيق

جمعية معلم المدينة

أعرفت أنك في المدينة؟

محاضرة ألقيت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عام ١٤٠٣هـ

ⓒ جمعية معالم بالمدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبد الفتاح بن سليمان

أعرفت أنك في المدينة؟/ عبد الفتاح بن سليمان العشماوي -

المدينة المنورة، ١٤٤١هـ.

٥٦ ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ١-٤٠٩٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- المدينة المنورة - وصف ورحلات ٢- المدينة المنورة - تاريخ

أ. العنوان

ديوي: ٩١٥,٣١٢٢٠٤ ١٤٤١/١٠١٦٦

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٠١٦٦

ردمك: ١-٤٠٩٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

للملاحظات والاقتراحات التواصل عبر:

maealim.medina@gmail.com

٠٠٩٦٦٥٥٦٦٨٠٩١٠

أعرفت أنك في المدينة؟

محاضرة ألقيت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عام ١٤٠٣هـ

الشيخ

عبد الفتاح بن سليمان العشماوي رحمه الله

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف

دراسة وتحقيق

جمعية معلم المدينة

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

فهرس المحتويات ٥
مقدمة ٧
تَرجُمَةُ الشَّيخِ عَبدِ الفَتَّاحِ بنِ سُلَيمَانَ العَشمَاوِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٩
التآليف حول المدينة ١٣
المدينة قبل البعثة ١٤
بين مكة والمدينة ١٨
المدينة في الكتب السماوية ١٩
المدينة بعد البعثة والهجرة ٢٢
فضل أهل المدينة، وسكنى المدينة ٢٩
آداب سكنى المدينة ٣١
المسجد النبوي الشريف ٣٥
مسجد قباء ٣٩
بقيع المدينة ٤٠
عقيق المدينة ٤٢
المدينة في القرآن الكريم ٤٤
نماذج من أقوال الغربيين في النبي الخاتم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ٤٧

أبيات شعرية ٤٩
ثبت المصادر والمراجع ٥١

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنّ المدينة المنورة مدينة النبي الكريم المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي مهاجره، وبها مسجده، وفي ترابها يرقد جسده الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي مهبط الوحي، ومأرز الإيمان، وهي طيبة، وطابة، ودار الهجرة.. الحديث عنها يملأ النفوس شوقًا إليها، والتعريف بها وبما وقع فيها من أحداث السيرة النبوية يزيد الإيمان والتأسي بالنبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسكناها وزيارتها تحتاج إلى آداب وسلوك.

ولذا يسر جمعية معالم المدينة أن تخرج هذه المحاضرة والتي هي بعنوان: «أَعَرَفتَ أَنَّكَ فِي المَدِينَةِ؟» للشيخ عبد الفتاح العشماوي، الذي كان مدرسًا بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية، والمسجد النبوي الشريف، والّتي قد ألقيت في الموسم الثقافي بالجامعة الإسلامية مساء يوم ٧/ ٧/ ١٤٠٣هـ الموافق ١٩/ ٤/ ١٩٨٣م.

وقد قامت اللجنة العلمية بجمعية معالم المدينة بتفريغ المحاضرة إلى نص مقروء، كما قامت بتخريج الأحاديث، والآثار الواردة فيها، وشرح الغريب، والتعليق عليها، وإعادة صياغة بعض العبارات بما يتوافق مع النص المكتوب، وإضافة عناوين للمحاور الرئيسة للمحاضرة تيسيرًا للفهم والإيضاح.

والجمعية إذ تخرج هذا العمل فإنّها تسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعله عملًا صالحًا مقبولًا، وأن يغفر للشيخ عبد الفتاح العشماوي ويرحمه، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدمه للمدينة وأهلها.

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين

١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م

تَرجُمَةُ الشَّيخ
عَبدُ الفَتَّاح بنُ سُلَيمَان العَشمَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ

هو عبد الفتاح بن سليمان العشماوي، أبو النصر، ولد في قرية شبرا باص، التابعة لمركز شبين الكوم، التابع لمحافظة المنوفية، في جمهورية مصر العربية، عام ١٩١٧م/ ١٣٣٥هـ.

وعمل مدرسًا في المدرسة العزيزية بالطائف من ١٣٧٦هـ حتى ١٣٨٢هـ.

درّس الشيخ في كلية الشريعة بجامعة الأزهر، في الفترة: ١٩٦٥-١٩٦٦م/ ١٣٨٤-١٣٨٥هـ.

وعمل إمامًا وخطيبًا ومدرسًا بمديرية أوقاف أسيوط في مصر من عام ١٩٦٧م/ ١٣٨٦هـ.

ثمّ انتقل للعمل في الجزائر في التعليم الثانوي من ١٩٦٩-١٩٧٣م/ ١٣٨٩-١٣٩٣هـ.

ثم قَدِم إلى المدينة النبوية وعمل مدرسًا في الجامعة الإسلامية من ١٣٩٣هـ حتى ١٤٠٥هـ، وكان تدريسه في كلية الحديث، ولتمكنه من مادة التفسير حُوّل إلى التدريس في كلية القرآن.

ونظرًا للتّمكن العلميّ للشّيخ عبد الفتاح العشماويّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقد اختير مدرّسًا بالمسجد النبوي الشريف من قِبل وكالة الرئاسة العامة للمسجد النبوي، وممّا يُذكر

للشيخ مشاركاته بإلقاء دروس بعد العشاء من ليلة الجمعة في الحصوة الأولى الملاصقة للبناء العثمانيّ، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُلقي درسه واقفًا، وكانت حلقته آنذاك من أكبر حلقات المسجد النبوي الشريف.

وكان الشيخ قامة علميّة ودعويّة؛ إذ كانت له مشاركات علميّة متميّزة في برامج الجامعة وأنشطتها الثقافيّة، وكان الموسم الثقافي للجامعة الإسلاميّة لا يكاد يخلو من مشاركة للشيخ.

وقد تميّزت محاضرات الشيخ بميزتين:

الأولى: جاذبية العنوان؛ حيث كان الشيخ يختار عنوانًا مميّزًا جاذبًا، فلا يكون بدٌّ إلاّ الحضور لمعرفة المحتوى، ومن ذلك:

١. غريب الحيّ: وهي محاضرة تتحدّث عن الغربة في سياق حواري جذّاب.

٢. تعالوا نذكر شيئًا قد نسيناه: وهي محاضرة تتحدّث عن الموت، والخاتمة، وأسباب الغفلة، وعلاج ذلك.

٣. أعرفت أنّك في المدينة: وفيها تحدّث الشيخ عن تاريخ المدينة، وآداب سكناها معالجًا بعض المظاهر السلبية في وقته.

٤. سئلت عن آية: وتتحدّث عن الآيات المتعلقة باليهود.

الميزة الثانية: أنّه يختم المحاضرة بأبيات شعريّة من نظمه في موضوع المحاضرة تؤكد على أهمّ محاورها.

وكان للشيخ مشاركات علميّة من خلال الأبحاث العلميّة في مجلّة الجامعة الإسلاميّة، فقد نُشرت فيها الأبحاث التالية:

١. إلى الذين يحادون مفاتح الغيب باسم العلم الحديث.
٢. التعليم في بلاد المسلمين.
٣. حقوق الإنسان في الإسلام.
٤. الخبيثة أم الخبائث.

وأثناء عمله بالجامعة الإسلاميّة كانت الجامعة تكلّفه بمهمّات دعويّة خارجيّة، حيث انتدب عام ١٤٠١هـ للدعوة في مساجد بلچيكا وفي مركزها الإسلامي بتوجيه من نائب رئيس الجامعة الإسلامية د. عبد الله بن عبد الله الزايد[١].

كما كلّف بمهمّة أخرى في صيف عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م للدّعوة إلى الله في ربوع اندونيسيا، بتوجيه من الشيخ عبد المحسن بن حمد العبّاد[٢] مدير الجامعة آنذاك.

---

(١) هو: عبد الله بن عبد الله بن عبيد الزايد الجميلي الحربي، ولد عام ١٣٤٩هـ، وتخرج في كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم حصل على الماجستير منها في أول دفعة، ثم حصل على درجة الدكتوراه في جامعة الأزهر عام ١٣٩٢هـ، ومن أبرز شيوخه: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالعزيز ابن باز، والشيخ صالح الحصين، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي. عُيّن أستاذًا مساعدًا بكلية الشريعة بالرياض عام ١٣٨٩هـ، ثم وكيلًا للمعهد العالي للقضاء بالرياض عام ١٣٩٣هـ، فوكيلًا للجامعة الإسلامية بالمدينة، ثم مديرًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٩هـ، ومن مؤلفاته: طبيعة الجهاد في الاسلام، وابن حزم الأصولي والجمهور -دراسة مقارنة، وتوفي عام: ١٤٣٣هـ. ينظر: سيرة الدكتور: عبد الله بن عبد الله الزايد، عبد الرحمن الجابري، (ص٨-١١).

(٢) هو: عبد المحسن بن حَمد بن عبد المحسن العبّاد البدر، ولد عام ١٣٥٣هـ، وبدأ دراسته في الكتاتيب، ثم في المدارس النّظاميّة، ثم واصل في معهد الرياض العلمي، ثم بكلية الشريعة بالرياض، ودرّس في معهد بُريدة العلمي، وفي معهد الرياض العلميّ، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن أبرز شيوخه: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، وفي عام ١٣٩٣هـ عُيّن نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية، =

وتوفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمدينة المنورة في عام ١٤١٠هـ[١]، ودفن في مقبرة البقيع.

= وكان رئيس الجامعة آنذاك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وبعد انتقال الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز إلى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء صار الشيخ العبّاد مديرًا للجامعة الإسلامية، وبدأ التدريس في المسجد النبوي عام ١٤٠٦هـ وما زال يدرس فيه، ومن مؤلفاته: عشرون حديثًا من صحيح البخاري، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، وفضل المدينة وآدابُ سُكنَاها وزيارتِها. ينظر: كتب ورسائل عبد المحسن بن حمد العبّاد البدر، (١/ ٦-١٠).

(١) كانت وفاة الشيخ عبد الفتاح قريبة من وفاة الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن الحصين والذي توفي عام ١٤١٠هـ، وأغلب الظن أن الشيخ عبد الفتاح توفي في نفس العام. ولم نقف على مصدر يحدّد تاريخ وفاة الشيخ عبد الفتاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ. [الفريق العلمي].

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الكريم.

الأفاضل المحترمون من الضيوف والمسؤولين والأساتذة والطلاب،

السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته،

أعرفت أنك في المدينة؟ هذه الجملة الاستفهامية هي عنوان المحاضرة، على أساس أن الناس أو أكثرهم نسوا أنهم في دار هجرة رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأردنا أن نذكرهم بهذا العنوان لعلهم يذكرون فيعرفون أنهم هنا في المدينة وليسوا في أي مدينة، ولنبدأ على بركة الله قائلين.

التآليف حول المدينة

ذكر محقق كتاب عمر بن شبّة في مقدمة تحقيق الكتاب[١] أن الإمام السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أنّ ما يقرب من مائة مؤلف كُتِبَتْ في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمدينةُ أكبرُ جزءٍ من هذه المؤلفات، والإمام السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ مات عام اثنين وتسع مائة هجرية (٩٠٢هـ)[٢]. فكيف لو أردنا أن نحصِيَ ما أُلِّفَ في هذا الأمر من الكتب بعد هذا التاريخ إلى عامنا هذا؟، أي ثلاثٍ وأربع مائة وألفٍ هجرية (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، فهل يمكن أن يُتَحَدَّثَ عن المدينة في محاضرة إلا بما يُشبِهُ الإشارةَ إلى هذه البقعة المطهّرَة، إلفاتًا لأولئك الذين انتهكوا حُرمَتها فلم يدركوا عظمتها ولا رفعة قدرها

(١) هو كتاب عمر بن شبة المسمّى (تاريخ المدينة).

(٢) ينظر: تاريخ المدينة، عمر بن شبة النميري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (١/ ١١).

عند ربها، ولقد اكتفينا بقليلٍ جدًّا من النصوصِ عن أمرِ المدينة، جمعناها من مراجع شتى معتمدة، قضينا في هذا وقتًا ليس بالقصير، وتأكدنا والحمد لله من أن هذا الجَنى والقطاف بأنه صحيح أو متفق عليه[١]، ولهذا سنكتفي بعرض النص دون ذكر التخريج اختصارًا للوقت وتجنيبًا للتطويل[٢]، وسأجعل طريقتي هذه المرة في تقديم المحاضرة إليكم أن نذكر مجموعة النصوص المتصلة أو المتقاربة زمنًا وغاية مع بعضها دفعةً واحدة، ثم ننظر إلى المدينة اليوم بما يتصل بالنصوص التي ذُكِرَت، ولنبدأ منها بما يتحدث عن المدينة قبل البَعثَة وليس فقط قبل الهجرة.

المدينة قبل البعثة

ذَكَرَ كعبُ الأحبار -وهو لقبٌ عمن له كعبٌ راسِخَةٌ في التوراة يسودُ بها الأحبار-، قال: «نَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، أَنَّ اللهَ قَالَ لِلْمَدِينَةِ: «يَا طَيْبَةُ، يَا طَابَةُ، يَا مِسْكِينَةُ، لَا تَقْبِلِي الْكُنُوزَ، أَرْفَعُ أَجَاجِيرَكِ عَلَى أَجَاجِيرِ الْقُرَى» وَالْأَجَاجِيرُ: السُّطُوحُ»[٣]. أي: أرفع درجتك وأُعلي شأنك.

وذكر ابن إسحاق -وهو سيّد علماء أهل السيَرِ بلا منازِع- أنَّ بيتَ أبِي أيّوبَ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي نزل فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوّل دخوله المدينة، له قصة.

(١) وردت في المحاضرة بعض أحاديث ضعيفة، تمت الإشارة إليها.
(٢) قام الفريق العلمي بجمعية معالم المدينة بتخريج الأحاديث والآثار وعزوها إلى مصادرها.
(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ١٦٣).

فقد بناه المِلكُ تُبَّع الأوّل[١] لما مرّ بالمدينة، وكان يصحبه أربع مائة عالِمٍ من أهلِ الكتاب، تعاهدوا أن لا يخرجوا من المدينة عند مرورهم بها، فلما علِمَ تُبَّع سألهم عن سِرّ ذلك، فقالوا: «إنا نجدُ في كتابنا أن نبيًّا اسمه محمد ﷺ هذه دارُ هجرته، فنحن نُقِيمُ لعل أن نلقاه»، فأرادَ تُبَّع الإقامةَ معهم لولا اضطراره للذهابِ إلى مقرِ ملكه، ولكنه بنى لكل واحدٍ من هؤلاء العلماء دارًا، واشترى لهم جاريةً وزوّجها منه، وأعطاه مالًا جزيلًا، وكتب كتابًا شَهِدَ فيه بالنبّي المنتظر الذي تحدّثَ عنه علماؤه، وضِمنَ ما في الكتاب هذان البيتان:

شَـهِـدتُ عـلـى أحـمَـدَ أنّـهُ ... رسـولٌ مِـن اللهِ بـاري الـقـسـمْ

فَـلَـو مُـدّ عُـمـرِي إلـى عُـمـرِه ... لَـكُـنـتُ وَزِيـرًا لَـهُ وابـنَ عـمْ[٢]

وختمه بالذَهَب ودفَعهُ إلى كبيرِهم، وسأله أن يدفَعَهُ إلى هذا النبّي المنتظرِ إن أدركَه، وإلا فمن يدركُه من أولاده، وبنى له دارًا ليَنزِلَ فيها عند هجرته)، ثم كان أن تناقَلِت الدار إلى أن صارت لأبي أيّوب الأنصاري رضي الله عنه الذِي هو من وَلَدِ كبيرهم هذا، وأهلُ المدينةِ الذين نصروهُ ﷺ من أولادِ هؤلاءِ العلماء من أوّل سلالة «قَيلَة»، وهي الأم الأولى للأوس والخزرج[٣].

---

(١) المِلكُ تُبَّع الأكبر الحميري: اسمه أسعد أبو كرب، كسى البيت الحرام، وبنى مدينة سمرقند، مِن ملوك اليمن، قال فيه رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَد كَانَ أَسلَمَ**». مسند الإمام أحمد، (٣٧/ ٥١٩)، الحديث (٢٢٨٨٠). صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (٢/ ١٢٢٣)، الحديث (٧٣١٩). ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، (٤/ ١٧٦) و(١٠/ ٢٢٧). والتَّنوير شرح الجامع الصغير، محمد الأمير، (١١/ ١٠٦).

(٢) عمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد العباسي، (ص٤٣).

(٣) ينظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي، ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، ابن حديدة، (٢/ ٢٢٨-٢٣٣).

يقول القسطلانيُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] في سيرته: «فعلى هذا: إنما نَزَلَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منزلِ نفسِه، لا في منزِلِ غيره»[٢]. فأقام بمنزلِ أبي أيوبَ سبعةَ أشهر ينزِل عليه الوحي، حتى ابتَنَى بيتَهُ ومسجدَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣].

وقد ذُكِرَ في الكتبِ التي نزلت على الرُسُلِ السابِقين أسماءٌ كثيرةٌ للمدينة، وأشهرها طيبة - طابة - الحبيبة - دار الإخضار - دار الإيمان - دار السُنّة - مظلة الإسلام.

كما ذُكِرَ أن الأصحَّ في أوّل تجمّعٍ لليهود في المدينة هو أنهم وجدوا صِفَةَ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التوراة، وأنه يُهاجِرُ إلى بلدٍ جميل تكثُرُ فيه البساتينُ والنَخيل، فأقبَلوا من الشامِ يَطلُبونَ الصِفَة حِرصًا منهم على اتِبَاعِه، فلمّا جاءوا وعرفوا صِفَتها كما في التوراة استَوطَنُوها وتَكَاثَروا فيها، حتى بلغت قبائِلُهُم نَيّفًا وعِشرينَ قبيلة[٤].

فسيطر اليهود بهذه الكثرة على الأوسِ والخزرج، وعيّنوا منهم مَلِكًا على كل قبائِلِهم يُسَمى الفَطيُون، واتّخَذ مَقَر مُلكِهِ في جِهَةٍ من المدينة تُسمَى (زُهرَة)، وهي التي سُميّت فيما بَعدُ بالعَوالي. وبَلَغَ من الفُحشِ الخُلُقِي لهذا الملكِ اليهودي أنه أَمَرَ أن لا تُزَفَّ عروسٌ من الأوس والخزرج إلا بعد أن تَدخُلَ عليه، ويفتَضها

(١) القَسطَلَّاني: (٨٥١ - ٩٢٣هـ) أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي، ومن تأليفاته: (الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر) و(شرح البردة، وسماه الأنوار المضيئة) و(نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد السخاوي، (٢/ ١٠٣)، رقم الترجمة (٣١٢).

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد القسطلاني، (١/ ١٨٤).

(٣) ينظر: المغانم المطابة في معالم طابة، محمد الشِّيرازيِّ، (١/ ٢٦٤).

(٤) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٥/ ٨٤-٨٥)، ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ١٣٢).

قبل زوجها إذلالًا لهم، وجاءَ دَورُ عَروسٍ تُسَمَى فَضلاء تزوجَت قريبًا لها، وهي أُختُ رَجُلٍ يُسمَى مَالِكُ بنُ العَجلان، وبينما هو جالِسٌ في جَمعٍ من قَومِه مَرّت أُختُه أمامَهم قبلَ زَفافِهَا بيَوم، فَشَقَّ على أخِيها ذلك، وذهبَ إليهَا وعنَّفَها، فقالت لَه: مَا يُصنَعُ بِي في غَدٍ أعظمُ مِن ذلك، أُهدى إلى غَيرِ زوجي، فلما أمسى مالِك احتَمَل على السّيف ودَخَل على الفَطيُون مع أُختِه وهو مُتنكِرٌ في زِيّ النساء، وقبل أن يَدخُل عليها انفَردَ بِهِ ابنُ العجلان، وعَلاهُ بالسَيفِ فقَتَلَه وانصرَفَ إلى دارِ قومِه، فأَخَذَ اليهودُ يُعِدّونَ أنفُسَهُم للقَضاءِ نِهائيًّا على الأوس والخزرج، فلما علِموا بذلك أرسلوا وفدًا منهم إلى بني جِنسِهم من الأوس والخزرج في الشام، وقَدِمَ أميرُ الوَفدِ وهو من بَنِي سالِم بن عَوف الذينَ صلى عندهم النبي ﷺ أوّل جُمعَة عند الهجرة، دخل على أبي جُبَيلَة مَلِكِ الشام وهُوَ مِن أبناءِ عُمومَتِهم كما سَبق وأخبَرَهُ بالأمر، فأعدَّ أبو جُبَيلَة جَيشًا جَرّارًا وقادَهُ بنفسِهِ إلى المدينة لِنُصرَة الأوس والخزرج، وتعهَّد ألا يعود إلى الشام حتى يُخزِيَ مَن بالمدينةِ مِن اليهود، ويُذِلّهُم ويُصَيّرَهم تحت أيدي الأوس والخزرج، فلما بَلَغَ مَشارِفَ المدينة، خرج وفدٌ لِيلقاهُ قبلَ دُخولِها، وأخبروهُ أن اليهودَ إذا علِمُوا أنه جاء لِقتالِهم يُسارِعونَ إلى قِلاعِهم فيَتحصَنونَ بِها فلا يَقدِر عليهم، وإنما يستَعمِلُ خِدَاعَ الحَرب، ويدعو قادَتَهم ويُلاطِفُهم بما لا يَعلَمونَ بِهِ أنه أتى لِحَربِهم، ففَعَلَ أبو جُبَيلَة ما أشاروا بِه وجاءَ إليه جميعُ مَن لَهُ كلمة مِن اليهود لم يَتخلّف أحد حتى صاروا حَشدًا عَظيمًا، فأَمَرَ جُنودَه فانقضوا علَيهِم وقَتلوهم جَمِيعًا، فلما تَمّ ذلك عَزّت الأوسُ والخزرجُ بالمدينة، واتَّخذوا الدِيارَ والأموالَ والحُصون، وعاشوا أعِزَّةً، وأصبَحَتِ اليَهودُ أذِلّةً لا حَولَ لَهم ولا طَول، وقال أحَدُ شُعراء الأوس يُثنِي على أبي جُبَيلَة بقصيدة، منها هذه الأبيات الثلاثة:

وأبـــو جُـبَـيـلَـة خـيـرُ مَـن ... يَـمـشِـي وأوفـــاهُ يَـمـيـنَـا
وأبَـــرُّهـــم بِـــرًا وأعـــ ... ـلَـمُـهـم بِـهَـدي الـصالِـحـيـنَـا
الـقـائـدُ الـخَـيـلُ الـصَـوا ... تّـع بـالـكـمـاة الـمُـعـلِـمـيـنَـا[1]

فلما قَدِمَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة أطرَفَهُ الأنصارُ مِن الأوسِ والخزرجِ بِهَذه القِصّة فقَالَ صلواتُ الله عليه: «فَإِنّ الثَمَرَةَ لِمَن قَد أَدبَر»[2]. أي: لِمَن جاؤوا دُبُرَ هذه الواقِعَةِ مِن أَجيَالِ الأوسِ والخزرج.

بين مكة والمدينة

«إنّ مكة بلد عظّمه الله، وعظّم حرمته، خلق مكة وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئًا من الأرض كلها بألف عام، ووصلها بالمدينة، ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقًا واحدًا» قال العلامة المقدسي في بعض تأليفاته: «هذا حديث غريب جدًّا، بل منكر»[3]. حديثٌ مرفوعٌ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ١٤٢-١٤٥)، (ص٤١-٤٢)، وعمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد العباسي، (ص٤١-٤٢).

(٢) عمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد العباسي، (ص٤٣). ولم نقف على عزو للحديث في المراجع الحديثية. [الفريق العلمي].

(٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ٩٦). وروى الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب في كتابه فضائل بيت المقدس بسند لا بأس به، خلافًا لقول السيد إنه واهٍ، فإنه ليس في سندهما من تكلم فيه سوى ابن لهيعة، وهو صدوق اختلط في آخر حياته، والترمذي يحسّن له. ينظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد الصالحي الشامي، (٣/ ٢٨١).

وعند الطبراني: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ المَدِينَةِ وَهِي بَطْحَاءُ قَبْلَ أَنْ تُعَمَّرَ لَيْسَ فِيهَا مَدَرَةٌ وَلَا وَبَرٌ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إِنِّي مُشْتَرِطٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا وسَائِقٌ إِلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، لَا تَعْصِي وَلَا تَغْلِي وَلَا تَكَبَّرِي، فَإِنْ فَعَلْتِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ تَرَكْتُكَ كَالْجُزُورِ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ أَكْلِهِ»(١).

و«في حديثِ الإسراء قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، فَقَالَ: انْزِلْ فَنَزَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثُمَّ رَكِبْنَا، فَقَالَ لِي: أتدري أَيْنَ صَلَّيْتَ؟، قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ، قَالَ: صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ»(٢). واسمُ يَثرِبَ كان مشروعًا قبل أن يَنهى عنهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

المدينة في الكتب السماوية

الأفاضِلُ المحترمون، هذا شيءٌ عَن مَدينةِ ما قبل البَعثَة، يُنبئُ عن عظَمَتِها وقَداسَتِها منذُ فَجرِ الدنيا، فآية التوراة التي ذَكرها عالِمُ اليَهودِ وكَعبُ أحبارهم بأن الله تعالى خاطَبَ المدينة ذاكرًا بأنه سَيَرفَعُ شأنها، ويُعلي أمرها حتى يَبلُغَ صيتُها

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٤/ ٢٣٧)، الحديث (٤٢٣٤). والحديث ضعيف. قال الهيثمي: «وفيه سعيد بن سنان الشامي وهو ضعيف». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٣/ ٢٩٩)، الحديث (٥٧٧٩).

(٢) سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة ، وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، واختلاف ألفاظهم فيه، (١/ ٢٢١)، الحديث (٤٥٠)، ومسند البزار، من حديث شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، (٨/ ٤٠٩)، الحديث (٣٤٨٤). واللفظ للبزار. قال الألباني في كتابه الإسراء والمعراج وذكر أحاديثها وتخريجها وبيان صحيحها: إنّه حديث منكر. (ص٤٤).

آفاق الأرض، «أرفَعُ أجاجيرَكِ على أجاجيرِ القُرى». وفي قواميسِ اللُّغة وَجدْنا كَلِمَة (أَجاجير) عربيةً صَميمَة أي: كُل ما يُذكَرُ عَن أعلى الأشياء[١]، كالبيوتِ أعلاها أسطُحُها، والجبالِ أعلاها ذُراها، وقَد أتمّ اللهُ ما ذَكَرَهُ في التوراة عن المدينة وقبل البَعثَةِ أيضًا، ومِن أثَرِ شُهرةِ التقديسِ للمدينَةِ وَقتَئِذ ما ذكرناه آنِفًا عن الملكِ تُبّع الأول، لما رأى علماءَ أهلِ الكتاب الذين معه فضّلوا البقاء في المدينةِ على أن يذهبوا إلى وطنهم، ذاكرينَ السبب بأنه بلدٌ مباركٌ أعدّه الله من الآن لاستقبالِ خاتَمِ المبعوثين ﷺ ليَكونَ بذلك خَيرَ مُهاجِرٍ إلى خَيرِ مَهجَر. فعَن ابن مسعودٍ مرفوعًا قوله صلوات الله عليه: «أَجِدُ نَعتِي في الكِتاب نبيًّا». أي: في الكتب الـمُنَزَّلةِ السابقة «أَجِدُ نَعتِي في الكِتاب نبيًّا، أحمدَ الـمُختَار، مَولِدُهُ مكّة، ومُهاجَرهُ طيبة، وأُمتُه الحَـمَّادون»[٢]، ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، أي مكتوبًا بصورَتِه وشَريعَتِه ودارِ هجرته ﷺ، فيكون من شأن الملك تُبّع أن يُعلِنَ الإيمان بهذا النبّي الذي سيأتي يومًا إلى هذه الأرض، وقبل أن يُغادِرها كَتَبَ وثيقةَ إيمانِه، وتركها عند مَن أقاموا بها متمنيًا أن يعيش حتى يُدرِك هذا النبّي، بما ذكر ابنُ إسحاق عن قول تُبّع: «فَلو مُدَّ عُمرِي إلى عمرِهِ .. لَكُنتُ وَزِيرًا لَهُ وابنَ عمّ».

---

(١) ينظر: العين، الفراهيدي، (٦/ ١٧٤).

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة، محمد الفيروزآباديِّ الشِّيرازيِّ، (١/ ٣٢٠). للحديث رواية أخرى، وهي: قال كعب: «نَجِدُهُ مَكْتُوبًا: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، وَلَا صَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ». سنن الدارمي، (١/ ١٥٦)، الحديث (٥)، قال محقق الكتاب: «مرسل وإسناده صحيح».

ومن عظمةِ وقداسةِ المدينة ما فعله الله تعالى بتسليطِ الملكِ أبي جُبَيلَة على اليهود فمَزّقهم، ومَن بَقيَ منهم عاش ذليلًا للأوسِ والخزرج، وكأنه سبحانه بذلك أرَادَ أن يُوهِنَ مِن أمرِهم حتى لا يكونوا عقبةً في وجهِ إسلامِ الأنصارِ من الأوسِ والخزرج، وبالتالي في مقاومةِ انتصارِ الإسلامِ في المدينة، وانطلاقِهِ منها عند هِجرَته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا كان قولهُ صلوات الله عليه بعدَ أن أسمعوهُ ما حَدَثَ للفطيون ويهوده: «فَإِنّ الثَمَرَةَ لِمَن قَد أَدبَر». وتمضي المدينة بعظمتها وقدسيتها حتى قبل الهجرة بأن يطلُبَ جبريلُ من الرسولِ عليهما صلاة الله وسلامه بما صَحّ في أحاديث الإسراء أن يُصَلِّيَ في مكانٍ لا يستطيعُ جبريل أن يجعلَهُ يصلّي فيه دون أن يؤمَرَ مِن ربّه، فهو الروح الأمينُ على ما يحمِلُ من الله لِرُسُلِه، وبعد أن ينتَهِيَ الرسولُ من الصلاة يُخبِرُهُ جبريلُ عن المكان الذي أُمِرَ من الآن أن يُصَلّيَ فيه «صَلَّيت بِيَثرِب»، وهو اسمٌ مراده أَنه مَن يأتي إلى هذا المكان لا تثريب عليه، ولا خوف عليه مِن شرٍّ أو كيدِ عدو، ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف:٩٢]، إلى أن نَهَى عنهُ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه بما عَمِلَ على تغيير أسماء معالِمِ الجاهلية في الإنسان-والمكان، وأصبَح اسمها المدينة – وطيبة – ودار الإيمان – ومِظلة الإسلام – إلى آخر أسمائها التي أبلغها بعضهم إلى أربعين اسمًا، وكثرة الأسماء من أهمية المسمى، وليس منها يثرب لِيُنسَى مع هذا الاسم «يثرب» حِقدُ اليهودِ وإفكُ الشِرك، والحديث الذي فيه نداءُ الله للمدينة قبل البَعثَة لِيُعلِنَ لِعباده كرامةَ هذه البُقعة وهي كما تقول الرواية: «وَهِي بَطْحَاءُ قَبْلَ أَنْ تُعَمَّرَ لَيْسَ فِيهَا مَدَرَةٌ وَلَا وَبَرٌ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ إِنِّي مُشْتَرِطٌ عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا وسَائِقٌ إِلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، لَا تَعْصِي وَلَا تَغْلِي وَلَا تَكَبَّرِي». فهلِ المدينَةُ اليوم، أي: مَن يعيشون فيها من داخِلها أو مَن أتوا من خارِجِها، وليس خطابُ الله

للمكان؛ فالمكان مقدس إلى يوم القيامة، هل المدينةِ اليوم قائمةٌ بالشروطِ الثلاثة؟ والتي أوّلها لا تَعصِ؟ أَم أنّ الشروطَ أُخِلّ بها فَحلَّ بها عندَئِذٍ وعيدُ الله «تَرَكْتُكَ كَالْجَزُورِ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ أَكْلِهِ»؟ كالبعير الميّت لا يمنع مَن ينهشُ لحمه، وأظنُّها اليوم أصبحت هكذا أو كادَت، فقد امتلأت بآلاف الرجال والنساء من كل البلاد، غايتهم من إتيانهم إليها أن ينهشوا من خيرها دون أن يُقيموا وزنًا لحرمتها، حيث لم يعرفوا أنهم بالمدينة، وإنما عرفوا أنهم في أي مدينة.

المدينة بعد البعثة والهجرة

الأفاضِلُ المحترمون: والآن نذكر عن مدينةِ ما بعد البعثَة وبعد الهِجرة، بعضًا من النقلِ، ثم نُعلّقُ عليه بما يفتَح الله به علينا، فلنسمع معًا، وهي أطول مجموعةٍ من النصوصِ في المحاضرة؛ لأنها تتصلُ بالمدينة كَكُل، «أُمِرتُ بقريةٍ» أي أمرت بالهجرة، «أُمِرتُ بقريةٍ تأكُلُ القُرى[(١)]، يَقُولُونَ: يَثرِبُ، وهِيَ المدينة»[(٢)].

و«عند عودته ﷺ من تبوك نَظَر إلى المدينةِ، وقال: «هذه طيبة، أَسكَنَنِيها ربي»[(٣)].

(١) في معنى تأكل القرى قولان: أحدهما: يأكل أهلها القرى: أي يفتحون القرى فيأكلونها، والثاني: تُفرغ القرى بوجوب الهجرة إليها، فكأنها أكلتها. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، (٣/ ٤٠٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، (٣/ ٢٠)، الحديث (١٨٧١).

(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ١٦٣). قال البوصيري في مختصر الإتحاف (٤/ ٣٨٩) (٣١٩٧): =

وبيّن أنّ المدينة هي مهاجره، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المَدِينَةُ مُهَاجَرِي وَمَضجَعِي فِي الأَرْضِ، حَقٌّ عَلَى أُمَّتِي أَن يُكرِمُوا جِيرَانِي مَا اجتَنَبُوا الكَبَائِرَ، فَمَن لَم يَفعَل ذَلِكَ مِنهُم سَقَاهُ اللهُ مِن طِينَةِ الخَبَالِ**»(١). وطينة الخبال هي قَيحُ وصديدُ أهلِ النار(٢).

و«كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائِدًا من إحدَى غَزَوَاتِه، فلما لاحَت لَه المدينة، رَفَعَ يديهِ ونَشَرَ رِداءه على كَتِفَيه، وقال: «هذه أرواحُ طيبة»(٣).

وقال: «**هُبِّي ريحَ طيبة**»(٤).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذّرًا من الإساءة للمدينة: «**مَن أَرَادَ أَهلَ هَذِهِ البَلدَةِ بِسُوءٍ -يَعنِي المَدِينَةَ- أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلحُ فِي المَاءِ**»(٥). وفي رواية أن النبي

= رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وفي سنده موسى بن عُبيدة الرّبذي وهو ضعيف. وأصله ورد من حديث زيد بن ثابت في البخاري -واللفظ له- (٨/ ٢٥٦) (٤٥٨٩)، ومسلم (٢/ ١٠٠٦) (١٣٨٤)، والترمذي (٥/ ٢٣٩) (٣٠٢٨)، وأحمد (٥/ ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٨٢) (١٢٤٧٦)، وعبد بن حميد رقم (٢٤٢)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٢٢) بلفظ: «إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النارُ خبث الفضّة». المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، تحقيق مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، تنسيق: د. سعد ابن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري (٧/ ١٤٣)، الحديث (١٣١٥).

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (٢٠/ ٢٠٥)، الحديث (٤٧٠). قال ابن عبد البر في الحديث: «وهذا إسناد فيه لين وضعف، ليس مما يحتج به، والفضائل يتسامح فيها قديمًا والله المستعان». التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (٢١/ ٢٥). وقال الهيثمي: «وفيه عبد السلام بن أبي الجنوب، وهو متروك، والله أعلم». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٣/ ٣١٠)، الحديث (٥٨٤٠).

(٢) ينظر: المعجم الكبير، الطبراني، (٢٠/ ٢٠٥).

(٣) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، (٣/ ١٦٣). الحديث من رواية ابن زبالة، وابن زبالة «كذبوه»، فلا يعتمد على روايته. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعًا ودراسة، صالح الرفاعي، (ص٣١٧).

(٤) لم نقف على عزو للحديث في المراجع الحديثية. [الفريق العلمي].

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله، (٢/ ١٠٠٧)، الحديث (١٣٨٦).

ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ مَن أَرَادَ المَدِينَةَ بِسُوءٍ، فَأَذِبْهُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ فِي النَّارِ، وَكَمَا يَذُوبُ المِلحُ فِي المَاءِ**»(١).

يقول علي رضي الله عنه: «ما عندنا شيء إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ، مَا بَيْنَ عَائِرٍ(٢) إِلَى كَذَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ**». وقال: «**ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ، وَلاَ عَدْلٌ**»(٣) (٤).

وبيّن كذلك فضل الصّبر على المدينة وشدّتها، فقال ﷺ: «**لا يَثبُتُ أحدٌ على لأوائِها وَجَهدِهَا إلا كُنتُ لَهُ شفِيعًا أو شَهِيدًا يوم القيامة**»(٥).

كما بيّن فضل الإقامة في المدينة، فقال ﷺ: «**يُفتَحُ اليَمَن فيَأتِي قومٌ يَبَسُّون** (أي يرغبون في الخروج)، **فيَتَحَمَّلُونَ بِأَهلِيهم ومَن أطَاعَهم** (أي: ليذهبوا

---

(١) مصنف عبد الرزاق، كتاب الأشربة، باب حرمة المدينة، من أخاف أهل المدينة، (٩/ ٢٦٤)، الحديث (١٧١٥٧). لم نقف على تخريج الحديث بهذا السياق، ويوجد سياق قريب منه في مسند أحمد: «وَالمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَلا يُرِيدُهُم أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلا أَذَابَهُ اللهُ ذَوْبَ الرَّصَاصِ فِي النَّارِ، أَوْ ذَوْبَ المِلْحِ فِي المَاءِ». رقم الحديث (١٦٠٦) (٣/ ١٥٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عثمان بن حكيم، فمن رجال مسلم. [الفريق العلمي].

(٢) **عائر:** جبل بقرب المدينة. شرح صحيح البخارى، ابن بطال، (٤/ ٥٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب حرم المدينة، (٣/ ٢٠)، الحديث (١٨٧٠).

(٤) اُختُلِف في معنى الصرف والعدل، وعند الجمهور: الصرف الفريضة، والعدل النافلة. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٤/ ٨٦).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، (٢/ ٩٩٢)، الحديث (١٣٦٣).

إلى اليمن ويتركوا المدينة)، **والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ويُفتَحُ العِرَاق فيأتي قومٌ يَبَسُّون، فيَتَحَمَّلُونَ بِأَهلِيهم ومَن أطَاعَهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ويُفتَحُ الشام فيأتي قومٌ يَبَسُّون، فيَتَحَمَّلُونَ بِأَهلِيهم ومَن أطَاعَهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون»**[١].

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَهَا اللهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَلَيَسْمَعَنَّ نَاسٌ بِرخَصٍ مِنْ أَسْعَارٍ وَرِيفٍ فَيَتَّبِعُونَهُ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة[٢].

ودعى الله أن يحبّب إليه المدينة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكّة أو أشدّ**»[٣].

ودعا للمدينة بالبركة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ**»[٤].

---

(١) الحديث في صحيح مسلم بلفظ: «**يُفْتَحُ الْيَمَنُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ، فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**». كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار، (٢/ ١٠٠٩)، الحديث (١٣٨٨).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٥٠١) الحديث (٨٤٠٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، فضائل المدينة، باب كراهية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تعرى المدينة، (٣/ ٢٣) الحديث (١٨٨٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، فضائل المدينة، باب كراهية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تعرى المدينة، (٣/ ٢٣) الحديث (١٨٨٥).

وبيّن أنّ المدينة تنفي الخبث، فقد جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَجَاءَ مِنَ الغَدِ مَحْمُومًا فَقَالَ: أَقِلْنِي[١]، فَأَبَى ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المدِينَةُ كَالكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا**»[٢].

ولما زارَ الرَشيدُ المدينة سألَ الإمام مالكًا أَلَكَ دَارٌ؟ قَالَ: لَا، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِهَا دَارًا. فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُنْفِقْهَا، وَلَمَّا أَرَادَ الرَّشِيدُ الشُّخُوصَ، قَالَ لِمَالِكٍ: يَنْبَغِي أَنْ تَخْرُجَ مَعِي، فقال مالك: أَمَّا الْخُرُوجُ مَعَكَ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**»، وقال: «**الْمَدِينَةُ تَنفِي خَبَثَهَا**»، وَهَذِهِ دَنَانِيرُكُمْ كَمَا هِيَ إِنْ شِئْتُمْ فَخُذُوهَا[٣].

وذكرَ صاحبُ «الوافَى» العبارات النبوية الآتية مرفوعة «يا طيبةُ، يا سيدةَ البلدان»[٤] -إن الله سمَّى المدينة طابة- «**أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ مُشتَبِكَةٌ بالملائكة**». هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه[٥].

وحول وجود قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة قال: «**مَا عَلَى الْأَرْضِ بُقْعَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَكُونَ قَبْرِي بِهَا، مِنْهَا**» (يَعْنِي المَدِينَةَ)»[٦].

---

(١) طلب التَحُلَل من بَيعَتِهِ لِيَخرُج تَشاؤمًا من المدينة لِما حَلَّ فيه من الـمَرض.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، فضائل المدينة، باب كراهية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تعرى المدينة، (٣/ ٢٢) الحديث (١٨٨٣).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري، (١/ ٢٠).

(٤) تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، (٢/ ٢٣٤)، الحديث (١٥٤٥). لم نقف على تخريج الحديث. [الفريق العلمي].

(٥) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٥٨٥)، الحديث (٨٦٢٨). قال الحاكم عقب الحديث: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه».

(٦) موطأ الإمام مالك، كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله، (٢/ ٤٦٢)، الحديث (٣٣). ضعفه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح، (٢/ ٨٤٠)، الحديث (٢٧٥٧).

وقال أيضًا: «**لا يُقبَضُ النبيُّ إلا في أحبِّ الأمكِنَةِ إليه**»(١). وما هيَ أحبُّ الأمكِنَةِ التي دُفِنَ فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ورغّب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموت في المدينة، فقال: «**مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا**». «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أيوب السختياني»(٢).

وبيّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانة المدينة وحفظ الله لها، بقوله: «**نِعمَ الأرضُ المدينة، إذا خَرَجَ الدَجّال على كلِّ نَقْبٍ**(٣) **من أنقابها مَلَك، لا يَدخُلُها** (أي الدجّال)، **فإذا كانَ ذلك رَجَفَتِ المدينةُ بأهلِها ثلاث رَجَفات، لا يَبقَى فيها مُنافِقٌ ولا مُنافِقَة إلا خَرَجَ إليه** (أي إلى الدجّال) **وأكثَرُهُم النِساء، وذلك يومُ التَخلِيص، ذلك يَوم تَنفِي المدينةُ خَبَثَها**»(٤).

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَعُودَنَّ الْأَمْرُ كَمَا بَدَأَ، لَيَعُودَنَّ كُلُّ إِيمَانٍ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا، حَتَّى يَكُونَ كُلُّ إِيمَانٍ بِالْمَدِينَةِ**»(٥).

---

(١) مسند أبي يعلى، من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١/ ٤٦)، الحديث (٤٥). قال محقق الكتاب حسين سليم أسد عند ورود الحديث: إسناده ضعيف.

(٢) سنن الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل المدينة، (٥/ ٧١٩)، الحديث (٣٩١٧). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٧/ ٢٠١)، الحديث (٣٠٧٣).

(٣) **النقب:** الطَّرِيق فِي الْجَبَل. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، (٤/ ٢٠).

(٤) الحديث في مسند أحمد بلفظ: «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ، إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ؛ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، رَجَفَتِ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ -يَعْنِي- مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي الْمَدِينَةُ الْخَبَثَ». (٢٢/ ٩)، الحديث (١٤١١٢). صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٧/ ٢١٤)، الحديث (٣٠٨١).

(٥) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٥٠١)، الحديث (٨٤٠٠). =

وبعد هذه المجموعة من الأحاديثِ المرفوعة، يَلَذُّ لنا أن نَسمَعَ هذه المجموعة المَوقُوفَة:

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كُلُّ الْبِلادِ فُتِحَتْ بِالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ، وَفُتِحَتِ المَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ»(١).

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليسَ في الأرضِ بُقعَةٌ أكرَمُ على اللهِ من بُقعَةٍ قَبَضَ فِيهَا نَفسَ نبّيه»(٢).

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال مَلَكُ الإيمان: أنَا أسكُنُ المدينة، فَقالَ مَلَكُ الحَيَاء: وأَنا مَعَك»(٣).

ولصفيّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عمةِ النبّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصيدة ترثي فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندَ مَوتِه:

لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي النبّي لِفَقدِهِ ... ولَكِنَنِي أَخشَى من الهَجْرِ آتِيَا

أفَاطِمُ صلّى اللهُ رَبُّ مُحَمَدٍ ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا

فِدًى لِرَسولِ اللهِ أُمّي وَخَالَتِي ... وعَمّي وخَالِي ثُمّ نَفسِي ومَالِيَا(٤)

= ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، (٦/ ٣٣٠). والمخلصيات، لأبي طاهر المخلص، (٢/ ١٤٤)، الحديث (١٢٣٦). واللفظ للحاكم والبيهقي. ولم نقف على تخريج الحديث. [الفريق العلمي].

(١) تذكرة الحفاظ، ابن القيسراني، (١/ ٢٤٨)، الأثر (٦١١).

(٢) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد الصالحي الشامي، (٣/ ٣١٦).

(٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ١٥). قال الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان حول الأثر: «إسناده واه جدًّا». المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، (٥/ ١٣١).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (/ ٢٤٨). والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، =

ورثاه كذلك عند موتِه صلواتُ اللهُ وسلامه عليه ابنُ عمِّه أبو سُفيانَ بنَ الحَارِث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله:

أفاطِمُ إن جَزِعتِ فَذَاكَ عُذرٌ ... وإن لَم تَجْزَعِي ذَاكَ السَبِيلُ
فقَبرُ أَبِيكِ سيّدُ كُلِّ قبرٍ ... وفيهِ سيّدُ النّاسِ الرَّسولُ[1]

أمّا حَسَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال:

أَطَالَت وُقُوفًا تَذرِفُ العَيْنُ جهدها ... على طَلَلِ القبرِ الذي فيهِ أحمَدُ
فَبُورِكتَ يا قَبرَ الرسولِ، وبُورِكَتْ ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد[2]

فضل أهل المدينة، وسكنى المدينة

«لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما أبصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسلم عليه وسايره، فالتفت مالك إلى المهدي فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم؛ فإنّه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، ولا خير من المدينة. فقال له ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَن قبر

= (١/ ٤٩). ومنتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عبد الله الشحاري، (٤/ ٣٢٠).

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، (٤/ ١٦٧٦).

(٢) ديوان حسان بن ثابت، (ص٤٧).

محمد عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم»[١] [٢].

وسُئِلَ أحمد بن حَنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أين ترى أحبّ إليك أن يسكن الرجل، مكة أو المدينة؟ قال: المدينة لمن قوي عليها، قيل له: لم؟ قال: لأن بها خير المسلمين»[٣].

وقالَ عَمرو بن أُميّة حينَ أخرجَهُ عبدُ اللهِ بن الزُبير من الحِجَازِ إلى الشام، قال هذه الأبياتِ الثلاثة:

إذا برقت نحو الحجاز سحابة ... دَعَا الشّوقَ مني بَرقُها المُتَيامِنُ

فلم أتركنها رغبة عن بلادها ... ولكنّه ما قدّر الله كاين[٤]

فما يستَوِي مَن بالجَزيرةِ[٥] دَارُهُ ... وَمَنْ هُوَ مَسْرُورٌ بِطَيْبَةَ قَاطِنُ[٦]

وكان ابن نمير الحضرمي شاعرًا مُسِنًّا، وكان نازلا ببلاد قومه، ثم نزل المدينة يسيرًا من دهره، ثم حنَّ فرجع إلى بلاده نكرا منه في معيشته، فلامته على ذلك زوجته فقال يعتذر لخروجه عن المدينة:

ألا قالت أمامَةُ بعدَ دهرٍ ... وحلوُ العيشِ يُذكَرُ في السنينِ

سكنت مخايلا وتركت سلعا ... شقاءٌ في المَعيشَةِ بعدَ لِينِ[٧]

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، (٢/ ١٠٢).

(٢) الشرف قد حصل بسبب جمعهم بين قربهم من بلدة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقربهم من سننه، أما القرب من موطن دفنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع البعد عن سننه فلا ينفع صاحبه. [الفريق العلمي].

(٣) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، القاضي أبو يعلى، (١/ ٣٠٧). وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ١١٩). ومختصر الإنصاف والشرح الكبير، محمد بن عبد الوهاب، (ص٣٣٩). واللفظ للسمهودي.

(٤) كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر الدواداري، (٤/ ١٦٥).

(٥) يقصد جزيرة الشام، أو شبهها.

(٦) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ٢٩٥).

(٧) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ٢٩٣).

آداب سكنى المدينة

الأفاضِلُ المحترمون: بعدَ هذه الأزاهيرِ الناضرةِ من النصوص، أكتَفِي بها على قدرِ المحاضرة من حديقَةٍ فيحاء، ألَّفَها الراسِخونَ من العُلَماء عن المدينةِ وعجائبِها، فأينَ تَقِفُ مدينةُ اليوم ولَو من النص القليلِ الذي ذُكِر؟ لقد اختَنَقَتِ المدينةُ بهذا الحَشدِ الهائِل من الرجالِ والنساءِ والطلّاب، وفِدوا من أنحاءِ العالَمِ يعملونَ في مُختلفِ الـمِهن، من: تعليمٍ، وطبٍ، وهندسةٍ، وتجارةٍ، وصناعةٍ، وبناية، إلى غير ذلك من أمورٍ شتَّى، بالإضافةِ إلى مَن سبقوهم وسكنوا المدينةَ بصورةٍ دائمة، ونَسَبوا أنفُسَهم إليها وكَونوا مع الوافِدينَ الجُدَد الكَثرَةَ الكاثِرَةَ فيها، فمن النادرِ جدًّا أن ترى واحِدًا من أهلِها الأصليين، بلهَ[1] الأنصارَ والمهاجِرين، فقد انقرضوا أو كادوا، فكانَ على هؤلاء الآلاف الذين ملؤوا اليومَ كلَ شِبرٍ في المدينة، أن يعلموا أنهم بمَجيئِهم إليها لم يعودوا في بلدِهم، وإنما هم الآن في بلدِ رسولِ الله ﷺ التي حظِيَت من ربّها بِوافِرِ التعظِيم في الجاهِلِيّةِ وقبل البَعثَة، وازدادَت تعظيمًا وتكريمًا بالهِجرةِ الكُبرى وانطِلاقِ ضياء الإسلامِ منها إلى العالمين، فهل كان يجوزُ أن ترى طيبةُ ضيوفَها العدِيدِينَ هؤلاء والذين وَسِعَتهم بواسِعِ خَيراتها، أن يكونوا فيها غيرَ مصلّين أو معظمَهم، بل ولا يتوقفونَ عن أعمالِهم أثناءَ صلاةِ غيرِهم، ونراهم في جامِعتِنا كذلك وهم يعلمونَ أنهم يَبنُونَ في الجامعةِ الإسلامية التي في المدينة، وظلّوا على حالِهم في بلادِهم حتى وهم يَبنُونَ في الجامعة التي في المدينة، ولا يتوقفون

(١) معنى «بلْهَ»: دعْ. الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، (١/ ٢٥٩).

حتى أثناء أداء الصلاة، بل وضجيجُ سياراتِ هؤلاء الوافِدين بعد أن أصبحَ لهم سيارات بالإضافةِ إلى سياراتِ الأُجرَةِ وسياراتِ الصِبيان يشوشون على المصلّين أثناء الصلاة في مساجِدِ المدينةِ وفي سيّد مساجدها أيضًا، فلا يتوقفون عن السير ولا عن النعيقِ النَفير أثناءَ الدقائق التي تؤَدّى فيها الصلاة ليتركوا غيرهم يصلّون، وحتى القليلُ الذي يصلّي منهم من شدّة فرحَتِهِ بسيَّارَتِه يكادُ يدخُلُ بِها المسجِدَ النبوي[1]، لولا رجالُ المرور الذين يصدُّونهَم عن سدِّ أبواب الحرم بعدَ أن سدّوا أبواب الشوارِعِ المؤديَةِ إليه، مما جَعَل الـمُشاةَ يَشُقُّونَ طريقَهم إلى المسجِدِ بِعَنَت فلا ضرورَةَ أن يوقِفوا سياراتِهم بعيدًا ليَمشوا الخُطُوات التي ترفعُ الدرجاتِ، وتَحُطُّ السيئات بما بشّرَ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد الصلاة وهم على باب الحرم يَختِمونَ الصلاة بسيجارَة، فقد اشتدَّ شَوقُهم إليها أثناء دقائق الصلاة، وبعد أن أتحفوا المسجِدَ الشريف بروائح أفواهِهم الذكيّة، فترى المداخِنَ على بابِ المسجد انضمت إلى مداخِنِ شارِبي الدخانِ والجَراكِ من سكان المدينة فتملأ سماءها، وهل كان يجوز أن ترى المدينة جيوش النساء تملأ شوارعها وأسواقها، وحتى المسجد النبوي من الممرضات والمدرسات وغيرهن وقد كَشَفنَ الوجوهَ لمن يرى؟ بعد أن زُجِجَتِ العين وطُلِيَ الوجه وصُبِغَتِ الشفّةُ من بَعضِهن في غير عفّة ولا خُلُقٍ ولا أدب، لِيَفتِنَّ بعدَ أن فُتِنَّ، وليُلقينَ نشأتَهن المَهينة إلى طُهرِ المدينة، بل وكثيرًا ما نرى بَطَلَها يمشي بجانِبها وهي مُزيّنَةٌ هكذا يهتَزُ ببنطَلونِه الضيّقِ جدًّا، وقد نُزِعَت منه غيرةُ الرُجولة، فلم يَعُد يأبَهُ بالعيون التي تنهَش أو تسخر منهما، واضحكوا إن شِئتُم

(١) بفضل الله اختفت كثير من المظاهر السلبية التي أشار إليها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في زمانه. [الفريق العلمي].

معي عندما وَجدُت اثنين من هذا النوع مُتجهَين لصلاة الجُمعة وليس الذراعان مُتَآبطَينِ فقط بل والكفّانِ والكتِفان، بصورةٍ وَقِحَة جدًّا، أمام المِئات التي تنساب إلى المسجد يوم الجمعة كما تعلمون، والمهم بهذا التلاصُق أن وضوءهما صحيحٌ وعظيمٌ جدًّا، سيُصَلِّيَانِ به الجمعة، ولكن مَن فَقَدَ الحياء يَفعَل ما يشاء، وصدقَ نبي الحياء، القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَّاسُ مِن كَلَامِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصنَع مَا شِئتَ**»[(١)]. ولكن، ولو في المدينةِ التي فيها هذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو بالصلاة في مسجده بغيرِ وضوء، ولا نُنكِر وجودَ المحتشماتِ الفُضلَيات ولكن ما أقلّهن[(٢)]، وهل كان يجوز أن تقعَ في المدينةِ تلكَ الحوادِثُ الكثيرة من السرقات، والسطو على البيوت وعلى الـمحَالِ التجارية بهذه الجُرأَة التي ما كنا نَسمَعُ عنها أبدًا في المدينة من قبل، إلا بعد هجوم هذه الحشود من كل جهة وجنس؟ وآخرها منذ أيام حادِثُ سطوٍ على حَانُوتِ صائِغ بجانب بيتِنا الملاصقِ للحرم، وسُرِق منه ما وزنُه اثنانِ وثلاثون كيلو من الذهب، وكل قيمةِ الـمَبيعات من الريالات، في المدينةِ اليوم[(٣)].

وهل كان يجوز من كثير من المثقفين أن ينعوا على المدينةِ بما لا حديثَ لهم غيرُ هذا «المدينةُ باردةٌ جِدًّا، المدينةُ حارّةٌ جِدًّا، المدينةُ شديدةُ الغلاء مَسكَنًا ومَطعَمًا، وأن صِحَتهم تَوَعكت بها»؟ ولا يكادون يذكُرونَ لها حَسَنةً واحدة، وكأنها ليسَ

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (٤/ ١٧٧)، الحديث (٣٤٨٤).
(٢) بل هنّ الأكثر، ولله الحمد. [الفريق العلمي].
(٣) انتشر الأمن بفضل الله في المدينة، وفي سائر المملكة العربية السعودية. ولا يكاد يخلو زمن من الأزمان، ولا عصر من العصور، ولا بلد من البلاد من وقوع بعض المنكرات، والكبائر. [الفريق العلمي].

لها عليهم أيُّ فضلة بعد ربّها من ذلك الذي هم فيه قبل أن يأتوا إليها، لا روحيًّا بنَبيّها ولا ماديًّا برخائها، مَثَلُهم كَمَثَلِ الأعرابي الجِلف الذي طلب من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقيلَه من بَيعَتِه لِيَخرج من المدينة لما وَعَك بها، فأخبره صلوات الله عليه بأن المدينة نَفَتهُ لأنه من خَبَثِها، وإنما تُبقِي طيبَها لينَصَعَ بها، ويوجد من شِبه هذا الأعرابي في المدينةِ كثيرون، ولكن ليسوا أجلافًا مثله، وإنما يوصَفون بأنهم مثقفون بثَقافةِ بلادِهم، فلا عِلمَ لهم بالحديث السابق: «**لا يَثبُتُ أحدٌ على لأوائِها وَجَهدِهَا إلا كُنتُ لَهُ شفِيعًا أو شَهِيدًا يوم القيامة**»[(١)]، عابوا عليها بَردَهَا وسَمِعوا عن الذين ماتوا من بَردِ بلادهم، وعابوا عليها حَرّها وسَمِعوا عن الذين ماتوا من حَرّ بلادهم، وعابوا عليها شِدّة غلاء المسكن وهم يعلمون ما عليه حالُ المساكِنِ في بلادهم، وهم في المدينَةِ يَسكُنونَ بالقليلِ مما أخذوا ويدّخرون الأكثر -سامحوني في هذه الصراحة-، وبالغِذاء الذي تفيضُ به المدينة لَحمًا وخُضَرًا، وفاكهةً كثيرةً، لا مقطوعةً ولا ممنوعةً، ومهما أكثروا من أكلِ ما ذكرنا وبالغلاءِ الذي ذكروه لا يُنفِقون أكثر من نِصف راتبهم ويدخرون الباقي، ذلك لأنهم في البلد المبارك بدعوة النبي المبارك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبَارَك، ولا نَصِفُ الكُلَ بهذا القول، فهناك الشاكرون لله المُقَدرونَ للمدينة عِزّها وفضلها، ولكن الأكثر -مع الأسف- هم مَن ذُكِروا آنفًا ومن مختلف البقاع، لا نُحدد[(٢)].

والعَجَبُ أن هذا النوع الناعي على المدينة هم أحرصُ ما يكونُ على البقاءِ بها، ليَبتَزُوها وليس حبًّا لها، ولكن لن تدعهم المدينة طويلًا، ولا بغير نهاية، فلابد

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، ودعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها، (٢/ ٩٩٢)، الحديث (١٣٦٣).

(٢) يحصل الخطأ ممن سكن المدينة، سواء من أهلها أو ممن وفد إليها. [الفريق العلمي].

أن يُصدِقَ اللهُ رسولَه ﷺ في أنها ستنفيهِم يومًا، وأن مَن نعاها إن لم يَتُب ستكون عاقِبَته أيضًا في قوله صلوات الله عليه: «**مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»[١]. أعرفنا قدرَ المدينةِ عند ربّها وعند رسوله، أم لا زِلنا في أيَّ مدينة؟

وأمرٌ آخر سُئِل عنه إمامُ المدينة مالِك رَحِمَهُ اللَّهُ: عَمَّا يترخص فِيهِ بعض أهل الْمَدِينَة من الغناء. فَقَالَ: إِنَّمَا يَفْعَله عندنَا الْفُسَّاق[٢]. إذًا أين مالِكٌ اليوم ليرى أن أربحَ تِجارةٍ الآن في المدينة هي التلفزيون الملوّن والفيديو والاستيريو وأشرِطَةُ الغناء[٣]، وآلات الشيطان؟ ذلك لأنها لم تُعرف عند الأكثر بأنها المدينة، وإنما أي مدينة.

المسجد النبوي الشريف

الأفاضِل المحترمون وماذا عن مسجد المدينة؟ إن الكلامَ عنه أيضًا طويلٌ جميل، ونكتفي بنصٍ كمُجرّد رمز، بما هو أيضًا في احتمال المحاضرة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله، (٢/ ١٠٠٧)، الحديث (١٣٨٦).

(٢) العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، (٢/ ٧٠)، الأثر (١٥٨١). ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٠/ ٣٣٦).

(٣) كادت هذه الوسائل تختفي بعد أربعين عامًا من محاضرة الشيخ عبد الفتاح رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم تعد تجارة رائجة. [الفريق العلمي].

إن عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وثالثًا كان معهما دخلوا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١] زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتذاكروا المسجد، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إني لأعلم سارية من سواري المسجد لو يعلم الناس مافي الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسهمان، فخرج الرجلان وبقي ابن الزبير عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال الرجلان: ما تخلف عندها إلا ليسألها عن السارية، ولئن سألها لتخبرنه، ولئن أخبرته لا يُعلمنا، وإن أخبرته عمد لها إذا خرج فصلى إليها، فاجلس بنا مكانًا نراه ولايرانا ففعلا، فلم ينشب أن خرج مسرعًا فقام إلى هذه السارية فصلى متيامنًا إلى الشق الأيمن منها، فعلم أنها هي، وسميت أسطوانة عائشة بذلك»[٢].

ولذا يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رأيت كبار أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبتدرونَ السواريّ عند المغرب»[٣].

فجميع سواريّ مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو سواريه - كلمتان صحيحتان- تُستحب الصلاةُ عندها؛ إذ لا تخلو من صلاة كبار الصحابة إليها رضوان الله عليهم أجمعين[٤].

---

(١) عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خالة لعبد الله بن الزبير.

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة، الفيروزآبادي، (١/ ٣٤٣). وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى ضعف هذه الرواية؛ حيث ذكرها بصيغة التمريض، فقال: "ورُوي عن عائشة أنها كانت تقول: لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام". فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (١/ ٥٧٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب سترة المصلي، باب الصلاة إلى الأسطوانة، (١/ ١٠٦)، الحديث (٥٠٣).

(٤) ينظر: الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، (ص١٠٨).

وفي حادث الحريق[١] الذي شبّ في المسجد الشريف، أبدى الرافِضةُ شماتتهم وخاضوا في المسجِدِ ومَن فيه، فرَد عليهم واحدٌ من أهل المدينة بهذين البيتين:

لم يَحترِق حَرَمُ النبي لِحادِثٍ ... يُخشى عليه ولا دَهاهُ العَارُ

لكنما أيدي الروافِضِ لامَسَت ... ذاكَ الجَنابَ فطَهرتهُ النارُ[٢]

وقال آخر من أهلِ المدينة هذين البيتين في مناسبة الحريقِ كذلك:

قُل للروافِض إنَّ سِرَّ شقائِكم ... تحريضُكم للذمّ كُلَّ سفيهِ

ما أصبَح الحرمُ الشريفُ مُحَرّقًا ... إلا لِسبّكم الصحابة فيه

وبيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ منبره على حوضه، فقد خرج يومًا، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ**»[٣]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»[٤].

وبيّن أنّ مسجده تُشدّ إليه الرحال، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا خاتمُ الأَنبياءِ، ومَسجدي خاتمُ مساجدِ الأَنبياءِ، وأحقُّ المساجدِ أَن يُزارَ وتُشدّ إليهِ الرَّواحلُ المسجدُ الحرامِ ومَسجدي**»[٥].

(١) حصل حريق المسجد النبوي الأول في السنة (٦٥٤هـ)، وكان الحريق الأخير سنة (٨٨٦هـ).
(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (٢/ ١٥١).
(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، (٢/ ٩١)، الحديث (١٣٤٤).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل ما بين القبر والمنبر، (٢/ ٦١)، الحديث (١١٩٦).
(٥) المخلصيات، لأبي طاهر المخلص، (٤/ ٢٥)، الحديث (٢٩٤٣). وللحديث رواية في صحيح مسلم بلفظ: «**فَإِنِّي آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ**». كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، (٢/ ١٠١٢)، الحديث (١٣٩٤).

كما بيّن فضل العلم في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ**»(١).

ويكفي هذا لِنُعَلِّقَ قائلين: ما بالُ المسجدِ الخاتَمِ للنبي الخاتَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبح عند الكثير كأنه نادٍ يُجتَمعُ فيه للسَمرِ والترفيهِ وقَضاءِ وقتِ الفراغ خاصةً أيام العطلات والإجازات؟ فوقَ ما أصبحت تُرتَكَبُ فيه كُل أنواعِ البِدعَةِ تقريبًا، وهو مسجِدُ صاحِبِ السُنّة صلوات الله وسلامه عليه، فمن صائِحينَ بأعلى أصواتِهم عند الحُجرَةِ الشريفة، وهم في مكان التعظيمِ والهيبَة وغضِّ الصوتِ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن واقِفٍ في آخر المسجد وهو مُتَجِهٌ نحو الحُجرَة أيضًا، وهو راكِعٌ أو شِبهُ راكِعٍ يدعُو ويسألُ ويرجو، ومن هائِمٍ بحُبِّ ما بُنِيَ بالأحجارِ ودُقَّ بالمِسمار، ويأخُذُ البُنيانَ بالأحضان وهو باكٍ حسير، ومن رافِعٍ يَدَه عند الخروجِ من بابِ الحرم يُوَدِّعُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتحيّةِ العسكريّة.

هذا عن بعضِ بِدَعِ الرِجال أما عن بِدَعِ النساء وهُنَّ صاحِبات اليدِ الطولى(٢) في هذا المجال، فحَسبُنا أن نقول: إن الحرَمَ هو حديقةُ الفُسحةِ لَهُنّ ولأطفالِهن، يستَعِدنَ به ما فَقَدنَهُ في بلادِهن، وخَدمُ المسجد لا يكفُّون عن غَسلِ بُرازِ وبَولِ الأطفالِ طولَ اليوم، فوقَ صُراخِهم والتشويشِ على المصلِّين، كما أنه أنسَبُ

(١) سنن ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١/ ٨٢)، الحديث (٢٢٧).

(٢) إلا من رحم الله. وللنّساء فضل كبير، فمنهنّ من تحافظ على الصلاة وآداب المساجد، وتلبس لباس الستر والعفة، وتمنع الأطفال من إزعاج المصلين وتوسيخ المسجد والمصليات. [الفريق العلمي].

مكانٍ لعَرضِ الحُلي والأزياءِ الحديثة وأدواتِ الزينَة بينَهُن، ولأنهن يُطالِبنَ دائمًا بالـمُساواةِ بالرِجال أخذنَ بالزَّحفِ على مِساحةِ المسجد حتى حَصَلنَ على نَحوِ نِصفِه، والزَّحفُ مستَمِر، فقَد يأتي يَومٌ لا يَجِدُ الرِجالُ لهم مكانًا، فهُنَّ لا يَقنَعن إلا أن يقضيَ اللهُ أمره، أما عن الصلاةِ من الجنسَين داخِلَ المسجد -وهي وظيفَةُ المسجدِ الكُبرى ذاتُ الأَلْفِ ضِعف-، وإذا نَصَحت سَمِعتَ ما كَرِهت، لأن العِبادَة لديهم عادَة يقبِضونَ عليها بأسنانِهم، شأنُ الأمِّي والجَاهِل والمُتَعَلِّم بغير عِلم دينِه، أما الدُروسُ وخُطَبُ الجمعة فَقَلَّ مَن يستَفيدُ منها لأن الأكثَرَ غيرُ عَرَب، والقِلَّةُ التي من العَرَب لا تَعرِفُ لُغة العرب[١].

مسجد قبـاء

وأما المسجِدُ الثاني للمدينة فبعد الآياتِ النازِلَةِ فيه، والأحاديثِ المُثنِيَةِ عليه، فهو مسجدُ قباء يكفينا منه الآن أيضًا كلمات لعُمَرَ وسعد بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أما عُمر فيقول: «والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر في أصحابه، ننقل حجارته على بطوننا، يؤسّسه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، وجبريل يؤم به البيت[٢]»... ثم أخذ - أي عمر رضي الله تعالى عنه - جرائد فجعل

(١) الجهود مبذولة في تعليم النّاس الخير والسنّة من خلال الحلقات العلميّة بالمسجد النبوي الشريف، والمسجد الحرام، ومن خلال ترجمة خطب الجمعة في الحرمين الشريفين إلى اللغات الأخرى، والتي بدأت من شوال عام ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. [الفريق العلمي].

(٢) رؤيةُ الصحابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لجبريلَ ثابتة، وعلى رأسهم عمر في حديثِهِ المشهور: «إذ دخلَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثَوبِ ...» إلى آخرِ الحديث.

يمسح جدرانه وسطحه، فقيل له: نكفيك يا أمير المؤمنين، فقال: لا تكفونيه، أنا أريد أن أكفيكم أنتم مثل هذا، وإن شئتم اعملوا مثل ما أعمل..»[١].

أما عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: «لَأَنْ أُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ رَكْعَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آتِيَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ مَرَّتَيْنِ، لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي قُبَاءٍ لَضَرَبُوا إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْإِبِلِ»[٢].

ولا تعليقَ لنا إلا أنه لن يكونَ أوفرَ حظًّا من أخيه الأكبر مسجدِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بقيع المدينة[٣]

الأفاضِلُ المحترمون: وما بَقيعُ المدينة؟ فلنسمع قليلًا مما وَرَدَ فيه:

«دَخَلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ المَدِينَةَ، فَدَخَلَ مِنْ طَرِيقِ الْبَقِيعِ وَمَعَهُ ابْنُ رَأْسِ الْجَالُوتِ[٤]، فَسَمِعَهُ مُصْعَبٌ وَهُوَ خَلْفَهُ حِينَ رَأَى الْمَقْبَرَةَ يَقُولُ: هِيَ هِيَ، فَدَعَاهُ

(١) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، (ص١٢٤). ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (٣/ ٢٠). واللفظ للسمهودي. وتوجد رواية أخرى عن الشموس بنت النعمان، قالت: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَسِّسُ مَسْجِدَ قِبَاءَ، فَرُبَّمَا رَأَيْتُهُ يَحْمِلُ الْحَجَرَ الْعَظِيمَ فَيَنْهَرُهُ إِلَى بَطْنِهِ، فَنَأْتِي لِنَأْخُذَهُ مِنْهُ فَيَقُولُ: «دَعْهُ، وَاحْمِلْ غَيْرَهُ» وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَؤُمُّ بِهِ الْكَعْبَةَ». المعجم الكبير، الطبراني، من حديث شموس بنت النعمان بن عامر بن مجمع الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، (٢٤/ ٣١٧)، الحديث (٨٠١).

(٢) تاريخ المدينة، عمر بن شبة (١/ ٤٢). قال ابن حجر: «رواه عمر بن شبة في أخبار المدينة بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص». فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٣/ ٦٩). لعلّ القصد بضرب أكباد الإبل إلى مسجد قباء للذين هم بالمدينة؛ لورود النّهي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد. [الفريق العلمي].

(٣) هي مقبرة البقيع.

(٤) هو من علماء اليهود. ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٤٧/ ٤٧٤).

مُصْعَبٌ فَقَالَ: مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: نَجِدُ صِفَةَ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ فِي التَّوْرَاةِ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ مَحْفُوفَةً بِالنَّخْلِ اسْمُهَا كَفْتَةُ، يَبْعَثُ اللهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفًا عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ»[١].

وفي لفظ: «لما أشرف ابن رأس الجالوت على البقيع قال: هذه التي نجد في كتاب الله كَفْتَة، لا أطؤها، قال -مصعب-: فانصرف عنها إجلالًا لها»[٢].

ويقول أبو مُوَيهبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَهَبَّنِي[٣] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللهُ مِنْهُ، لِيَهْنِ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى**»، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ثُمَّ الْجَنَّةَ**»، قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي خُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: «**لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي ثُمَّ الْجَنَّةَ**»[٤].

---

(١) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ٩٣). «الحديث ضعيف جدًّا». الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعًا ودراسة، صالح الرفاعي، (ص٦٠٧)، الحديث (٣٢٨).

(٢) الدرة الثمينة في أخبار المدينة، ابن النجار، (ص١٦٤). والمغانم المطابة في معالم طابة، الفيروزآبادي، (١/ ٤٦٠). واللفظ له.

(٣) **أهب للأمر:** استعد له، والمراد: أيقظني. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (١/ ٣١).

(٤) مسند أحمد، (٢٥/ ٣٧٦)، الحديث (١٥٩٩٧). والمعجم الكبير، للطبراني، (٢٢/ ٣٤٦)، الحديث (٨٧١). والمستدرك على الصحيحين، للحاكم، (٣/ ٥٧)، الحديث (٤٣٨٣). وتاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ٨٧). واللفظ لابن شبة. قال الحاكم في المستدرك: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم» (٣/ ٥٧).

وفي رواية : «ولا أدري كيف تَصنعونَ بعدي»[١].

رواه الإمامُ أحمدُ في مُسنَده، والطبرانيُ في الكبير، والحاكِمُ في المستدرك، ومنتخبُ كَنزِ العُمّال، وابنُ شبّةَ في تاريخِ المدينة، عنِ عبد الله بن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا هو بقيعُ المدينَةِ وطريقة زيارَتِه، وأقوامٌ معروفون يذهبونَ لتَقديسِ موتاه، أو للعويلِ واللطمِ على الخدودِ، أو الضربِ على الصُدورِ من أجلِ أمواتٍ كرامٍ هم بُرءاءُ منهم، أو لعَمَلِ مظاهرات عند البقيع لإقلاقِ الحجيجِ، وإزعاج الأموات، ليُسيلوا الدِماءَ في بقيعِ عِظامِ الصالحين من أصحابِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عقيـق المدينـة[٢]

الأفاضل المحترمون: وبعد القليلِ الذي سمعناهُ عن بَقيعِ المنورة، نسمعُ القليلَ أيضًا عن عَقِيقِها.

يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي العَقِيقِ يَقُولُ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ، وَقُلْ: عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ**»[٣].

---

(١) هذه الرواية توجد في تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ٩٤)، ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (٣/ ٧٨). ولم يبيّنا درجة الحديث. ويوجد حديث قريب منه في صحيح البخاري: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَى الحَوضِ، وَلَيُرفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنكُم ثُمَّ لَيُختَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدرِي مَا أَحدَثُوا بَعدَكَ**». كتاب الرقاق، باب في الحوض، (٨/ ١١٩)، الحديث (٦٥٧٦).

(٢) هو وادي العقيق.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العقيق واد مبارك**»، (٢/ ١٣٥)، الحديث (١٥٣٤).

وكان سلمةُ بن الأكوعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يهوى صيدَ البراري، يقول: «كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ وَأُهْدِي لُحُومَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَقَدَنِي فَقَالَ: «**يَا سَلَمَةُ، أَيْنَ كُنْتَ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَبَاعَدَ الصَّيْدُ، فَأَنَا أَصِيدُ بِصُدُورِ قَنَاةٍ نَحْوَ ثَيْبٍ[(١)] فَقَالَ: «**لَوْ كُنْتَ تَصِيدُ بِالْعَقِيقِ لَشَيَّعْتُكَ إِذَا خَرَجْتَ، وَتَلَقَّيْتُكَ إِذَا جِئْتَ، إِنِّي أُحِبُّ الْعَقِيقَ**»[(٢)].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا انتهى إليه أنّ واديَ العقيق قد سال[(٣)] قال: «اذْهَبُوا بِنَا إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ»[(٤)].

«وعندما كان أميرًا عليه سعيدُ بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلَغَ سُكانُهُ أربعينَ أَلفَ نَسمَة، وكان كما ذكر الرواة: فيه قصورٌ مَشِيدَة، وحدائقُ مُلتَفة، ومزارِعُ نَضِرة، ومناظِرُ بَهيجَة»[(٥)]. وها هوَ اليوم بجانِبِنا ملاصِقٌ لجدارِ الجامعة، رملٌ أعفَر، لم يَعُد على أي لِسانٍ يُذكَر لا بحُرمَتِه ولا بِزَهوته.

---

(١) **قناة ثيب:** بفتح المثلاثة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم موحدة: جبل في شرقي المدينة. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي، (١/ ٨٣).

(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ١٤٧). وشرح معاني الآثار، الطحاوي، باب صيد المدينة، (٤/ ١٩٥)، الحديث (٦٣٣١). والمعجم الكبير، الطبراني، (٧/ ٦)، الحديث (٦٢٢٢). واللفظ لابن شبة. قال الألباني في الحديث: «ضعيف جدًّا».سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، (١٠/ ٤٦٣)، الحديث (٤٨٦٠).

(٣) أي: سال بالمطر. ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (١/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٤) تاريخ المدينة، ابن شبة، (١/ ١٦٧).

(٥) ينظر: المغانم المطابة في معالم طابة، الفيروزآبادي، (٢/ ٤١٠). وعمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد العباسي، (ص٣٦٨).

المدينة في القرآن الكريم

الأفاضل المحترمون: لقد جعلتُ أمرَ المدينَةِ في القرآن في نهاية المحاضرة ليكونَ خيرُها آخرَها، والقرآنُ زاخِرٌ باسمِ المدينة وأنصارِها ومهاجِريها، ووقائِعِها وعجائبِها، في سِلمِها وحربها إلى آخر ما نُحيلُكم عليه في بِحارِ التفاسير.

ونكتفي الآن بآيةٍ قصيرة، وجُملَةٍ من آية، أما الآيةُ القصيرةُ فهي قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [الإسراء:٨٠].

لما نَزَلت هذه الآية على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا بها من غيرِ فِعلِ (قُل) على أن هذا الأمر نُفِّذَ بالقولِ المطلوب، وهوَ كلماتُ الآية، ﴿رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ...﴾ إلى آخر الآية، ثم يقول المفَسِّرُ بعد ذلك: «إنّ الآية كُلَّها صيغةُ دُعاءٍ نَزَلَت من السماء، أمرَ اللهُ رسولهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعُوَ بها»[(١)].

وأوّلُ ما يُفهَمُ بالنسبةِ للجملتين الأوليين أن السابِقَة منهما ﴿أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ للمدينة، والثانية ﴿وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ لمكة، ليتكون من طرَفَيهما رِحلَةُ أكبرِ هِجرَةٍ في تاريخِ الحياةِ الدُنيا، إصرارًا من المهاجِرِ العظيمِ صلوات الله عليه على نصرِ حَقِّ ربّهِ في هذه الأرض مهما لقي وحدَثَ له، والصورةُ الظاهرَةُ عند الناس هي أنّ ترتيبَ الكلامِ يأتي مع ترتيبِ الوقائِع، فالإخراجُ كانَ من مكةَ أولًا والدخولُ إلى المدينةِ كان ثانيًا، فلماذا بَدَأ سبحانه بالمدينةِ قبل مكة؟

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣/ ٤٧٩).

والجوابُ بإفادَتين: فبالإضافةِ إلى أن المعنى العام هو تكريمٌ من الله للمدينة، فإن الإفادَة العلمية عن ذلك هي أن كِلا الدخولِ والخروجِ معنيٌّ بهما المدينَةُ وحدها، أي دخولٌ للمدينةِ عند الهجرة، وخُروجٌ منها بعد ذلكَ لفَتحِ مكة؛ وعليه فيكونُ ترتيبُ الكلامِ موافِقًا لترتيبِ الوقائع -خروجٌ من هناك ودخولٌ هنا، فيُصبحُ الوقائع أنَّ دخول المدينةِ كان أولًا، ثم كان الخروجُ منها إلى مكة لفتحها- وتكون المدينةُ قد فازت بالآيةِ كُلِّها؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ هي للمدينةِ أيضًا وإجماعًا، بما سنُفَصِلُه الآن إن شاء الله.

والإفادَةُ الثانية: هي أن مكةَ احتَفَظَت بِجُملَتِها ﴿وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾، وإنما بُدِئ بالمدينة لأن كِفَّتَها وقتئذ رَجَحَت في ميزانِ ما أصابَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوَتَهُ في مكة ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ [محمد:١٣]، فالقرية التي أخرجتِ الرسول هي مكة، وشُبِّهَت ببلادٍ في العصرِ الخالي أُهلِكَ أهلُها، لأن الإخراج يُناسِبُهُ الإهلاك، أما عنِ المدينةِ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الحشر:٩]. إلى آخر الآية التي خَتَمَها بقولِه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وليسَ أولئكَ هم الـمُخرِجون، أولئك هم الـمُفلِحونَ الذين يحبونَ مَن هاجرَ إليهم، فأفضلية البَدءِ بالمدينة في الآية كانت بِمُناسَبةٍ هامّة، وهي المقارنةُ بين ما حدثَ للدعوةِ وصاحِبِها من كِلا البلدين، أما أفضليةٌ دائمة بينَهما، فالخِلافُ في هذا الأمر لا يعني موضوعَ المحاضرة، وإن كانَ في الأصل لا يعني المؤمِن، وإنما الذي يعنيه هو أن يَنتَفِعَ بفَضلِ وقَداسَةِ كليهما، ولكن الأمرَ وقتها هو أنَّ مكةَ أخرَجَت والمدينةَ رَحَّبَت، وهذا ما دلَّت عليه قرينةُ الآيةِ وليسَ غير، فسَبَقَتِ المدينةُ مَكَةَ في العبارة إن لم تَكُنِ العبارتانِ للمدينة،

فالأُولى دخولٌ بصاحبينِ اثنينِ -صلّى الله على الأول ورضيَ عنِ الثاني-، ثم حوّلَتِ المدينةُ الاثنين إلى اثني عشَرَ ألف في الأصح خرجوا لفتح مكة، ليَتِمّ وعدُهُ سبحانه لنبيه بالعودة إلى مكةَ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، والشطرُ الأخيرُ من الدعاء العظيم الذي في الآية: ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾، فبدأ السلطانُ النصيرُ من الأنصار، سواءٌ أهل العقبَةِ أو المُنضَمينَ بعد إليهم من أهلِ المدينة، وزادَ السلطانُ النصيرُ بأبطالِ المهاجرين يَترُونَ تِباعًا، وزادَ أكثر عندما اندفَع الكل مهاجِرًا وأنصاريًّا من المدينةِ إلى خارِجِها ليُنيروا بوَهجِ إيمانهم وبَرِيقِ سيوفِهم الأرضَ التي أظلمَت طويلًا بالكُفرِ والمجُوسيّة.

وهكذا كان السلطان النصير من المدينة ابتداءً من عصرِ النبوة ومستَمِرًّا في خِلافَةِ الراشدين، وهكذا أيضًا كانت نُبوءَةِ المُنَبّأ صلوات الله عليه «**أُمِرتُ بقريةٍ تأكُلُ القُرى**»[(١)]. وقد أكَلَتها، فهل عرفتَ أنك بالمدينة؟ هل عرفت أنك الآن بالمدينة؟ أم بأي مدينة؟!

أما عنِ الجُملةِ من آية، فهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل:٤١]، فحسنةٌ هنا هي المدينةُ الحَسَنَة، ووُضِّحَ هذا التفسير بآية - وتعلمون في مبادئ علوم التفسير بأن الآيةَ إذا فسرت آية فذلك قِمَّةُ التفسير، والله فَسَّرَ كلامَهُ بكلامِه، ووُضِّحَ هذا التفسير في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩]، فالتبوءُ في الآيتين واحد، ومكانُ التبوءِ واحد وهو في دارِ الإيمانِ الحَسَنَة، فيا مَن أنت الآن بالمدينة هل عرفتَ أنك تبوأت دار الإيمان الحسنة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، (٣/ ٢٠)، الحديث (١٨٧١).

نماذج من أقوال الغربيين في النبي الخاتم ﷺ

الأفاضل المحترمون: وهل يُعقَل أن تُختَمَ المحاضرة بغيرِ كلمةٍ عن الخاتَم صلوات الله عليه؟ وهو خيرُ من سَكَنَها حيًّا ومَيِّتًا، ولكن لما كان استيعابُ الحديثِ عنه صلوات الله عليه مستحيلًا أو شِبهَ ذلك، فإن حَسبَنا منه كلمات مترجَمة حرفيًّا من قولِ غيرِ المسلمين

يقول الفيلسوف والشاعر الفرنسى لامارتين: «إن ثبات محمد وبقاءه ثلاثة عشر عامًا يدعو دعوته فى وسط أعدائه فى قلب مكة ونواحيها، ومجامع أهلها، وإن شهامته وجرأته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان، وإن حميته فى نشر رسالته، وإن حروبه التى كان جيشه فيها أقل من جيش عدوه، وإن تطلعه فى إعلاء الكلمة، وتأسيس العقيدة الصحيحة لا إلى فتح الدول وإنشاء الإمبراطورية، كل ذلك أدلة على أن محمدًا كان وراءه يقين فى قلبه، وعقيدة صادقة تحرر الإنسانية من الظلم والهوان، وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذى وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة، وحجة قائمة حطمت آلهة كاذبة، ونكست معبودات باطلة، وفتحت طريقًا جديدًا للفكر فى أحوال الناس، ومهدت سبيلًا للنظر فى شؤونهم، فهو فاتح أقطار الفكر، ورائد الإنسان إلى العقل، وناشر العقائد المحررة للإنسان ومؤسس دين لا وثنية فيه»[(١)].

(١) الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، حسين معدى، (١/ ١٠٣-١٠٤).

وقال أيضًا: «إنَّ حياة مثل حياة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده، ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه، وبأسه فى لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان، وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمته، ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية، إنَّ كل ذلك أدلة على أنَّه لم يكن يضمر خداعًا أو يعيش على باطل»[(١)].

ويقول طور أندريه، وچورچ فارسين فى كتابهما (العالَم الشرق) عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كان شجاعًا يخوض المعركة بنفسه ليرد الثبات إلى قلوب الذين يضعفون، وكان رحيمًا بالضعفاء يآوي في بيته عددًا كبيرًا من المحتاجين، وكان مع احتفاظه بهيبته كاملًا، بسيط الحركات لا يتكلف شيئًا، بشوشًا، سهل المعاملة»[(٢)].

انتهى كلامهما.

فما أعظمَ شهادةَ الكافر إذا جَرَى قَلمُه بالحقِ على غير إرادته، فهل بعدما سمعنا عن المدينة ورسولها صلوات الله وسلامه عليه وبركاته بما اهتز له أركان العالم باعترافٍ عدوٍ له ولمدينته، فهل تهتز له قلوب المؤمنين به؟ خاصةً الذين يجاورونه في مدينته، أم سيظلون يظنون أنهم في أي مدينة، ما جاؤوها إلا ليَحلُبوا ضَرعَها المُدِر؟ إن أصرُّوا على ذلك رجالًا أو نساءً أو طلابًا[(٣)]، فلنُسمعهم الحديث الصحيحَ الذي سبق ذكره: «**لَيَعُودَنَّ الْأَمْرُ كَمَا بَدَأَ، لَيَعُودَنَّ كُلُّ إِيمَانٍ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا، حَتَّى يَكُونَ كُلُّ إِيمَانٍ بِالمَدِينَةِ**». ولكن بعد أن تنفي كلَّ خبثها من الذين لم يعرفوا أنهم بها، ذلك العقابُ المؤقت، أما المؤجل، فاختر ذوبان المِلح، أو الرصاص، كما أَنذَر ساكِنُ المدينة صلوات الله وسلامه عليه في العالمين.

(١) المرجع السابق، (١/ ١٦٦).
(٢) المرجع السابق، (١/ ١٦٦)..
(٣) إلا من رحم الله.

أبيـات شعريـة

أما الأبيات فهي قليلةٌ كما تعلمون وبعنوان المحاضرة:

أعَرَفتَ أنكَ بالمدينة عندَما... أصـــبـــحـــت...

لـــمـــحـــمـــد... ساد الخليقةَ عُرْبَها والأعجما...[1]

وكـأن أذنـك تُـصغـيَـنّ لصوتِه بـالأمـرِ والـنـهـي الإلـهـي مُعلِمَا

وتـخـالُ نَـفـسَـكَ والـصـلاةُ مُقامَةٌ أصبَحتَ مـأمُـومًـا لأحـمَـدَ مثلما

صلَّى بـأمـجـادِ الـرجـال بعصرِهِ أمـا الـقِـتـالُ تـرى الإمـامَـةَ أعظما

وإذا جـلـستَ بـروضـةٍ مـن جنةٍ تـغـدو بـجـنَّـتِـكَ الأخـيـرة حالِمَا

أعـرفـت أنـك بـالـمـديـنـةِ عندما تُـلـقـي الـتـحـيّـةَ لـلـرسـولِ مُسَلِّمَا

وعـلـى رفـيـقِ الـغـارِ نـامَ بجنبِهِ وعلى مُعِزِّ الدينِ ساعةَ أسلمَا[2]

فـتـقـولُ نِـعـمَ الـصاحـبـان ترافَقَا فـي قبرِ خيرِ الخَلقِ قُلها مُقسِمَا

رَغـمَ الأُلـى سبُّـو صِـحـابَ نبينا والأمـهـاتِ فـبِـئـسَ قـولًا ظالما

أحـبـابُ ربِّ الـعـرشِ هـم أحبابُنا والله يـجـزي رافِـضًـا أو ناقما

أعـرفـتَ أنـك بـالـمـديـنـةِ عندما طـافَـت بـخَـاطِـرِكَ الأمـانِـي هائما

تـرجـو مـجـيئَـك كـي تَـفـوزَ بنظرَةٍ فـي طـيـبَـةٍ فـرأيـتَ رَكـبَـكَ قادما

---

(١) من مطلع القصيدة إلى هنا سقطت كلمات لم نعثر عليها؛ لأنّ المحاضرة صوت فقط غير مكتوبة، والصوت فيه تشويش، ولم يُفهم في هذا الموضع. [الفريق العلمي].

(٢) عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا رجاؤكَ قد تحقّق حينما ... ألفيتَ نفسَك ساجِدًا أو قائما

في مسجدٍ ضمَّ النبيَّ وصحبَه ... وجليسُهم جبريلُ حُزت الأنعُمَا

أوَ بعدَ هذا تستبيحُ حبيبةً ... عند الإلهِ تكونُ عبدًا آثما

يا دُرّة الإسلامِ طيبِي خاطرًا ... سترينَ مَن يؤذيكِ يومًا نادِما

فكما بدأتِ يعودُ مجدُكِ ثانيًا ... ويكون حكمكِ في البريّةِ حاسما[1]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) هذه القصيدة من نظم المؤلف الشيخ: عبد الفتاح بن سليمان العشماوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

١. الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعًا ودراسة، الدكتور صالح بن حماد الرفاعي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر بن عاصم القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣. الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية، ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ.

٤. تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ)، دار صادر - بيروت.

٦. تاريخ المدينة، عمر بن شبة، (المتوفى: ٢٦٢هـ)، دار الفكر، ١٣٩٩ه.

٧. تاريخ دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٨. تذكرة الحفاظ، ابن القيسراني (المتوفى: ٥٠٧هـ)، الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب.

١٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
١١. صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
١٢. جمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٣. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ).
١٤. الدرة الثمينة في أخبار المدينة، محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (المتوفى: ٦٤٣هـ)، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
١٥. دلائل النبوة، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٦. ديوان حسان بن ثابت، مصدر الكتاب : موقع أدب *www.adab.com*.
١٧. الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، حسين حسيني معدى، دار الكتاب العربي - دمشق، ١٤١٩هـ.
١٨. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٩. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٢١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٢٢. سنن الترمذي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٣. السنن الصغرى للنسائي، (المتوفى: ٣٠٣هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٢٤. شرح صحيح البخارى، لابن بطال، (المتوفى: ٤٤٩هـ)، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٦. عمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسي (المتوفي في القرن العاشر الهجري)، المكتبة العِلميَّة - المدينة المنورّة، أسعد رَابزوني الحسيني.

٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٨. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ)، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار الوطن - الرياض.

٣٠. المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم) ، دار ابن حزم (بيروت)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

٣١. مجموع الفتاوى، ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٣. مختصر الإنصاف والشرح الكبير، محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، مطابع الرياض – الرياض.

٣٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٥. المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، القاضي أبو يعلى، المعروف بـابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

٣٦. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، دار الحرمين، القاهرة – مصر، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٧. المسند، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، المتوفى: ٣٠٧هـ، دار المأمون للتراث – جدة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣٩. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، (المتوفى: ٢٩٢هـ)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

٤٠. مسند الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٤١. صحيح مسلم (المتوفى: ٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٢. المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض، محمد بن علي الأنصاري، ابن حديدة (المتوفى: ٧٨٣هـ)، ، عالم الكتب - بيروت.

٤٣. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، (المتوفى: ٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ.

٤٤. مصنف عبد الرزاق (المتوفى: ٢١١هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.

٤٥. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٦. المعجم الكبير، الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٤٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٤٨. المغانم المطابة في معالم طابة، محمد بن يعقوب الفيروزآباديِّ (٧٢٩ - ٨١٧هـ)، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

٤٩. منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عبد الله ابن سعيد الحضرميّ ، (المتوفى: ١٤١٠هـ)، دار المنهاج - جدة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٥٠. موطأ مالك (٩٣-١٧٩هـ)، (١٥٢-٢٤٤هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٥١. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، - ١٤١٩هـ.

جمعية معالم المدينة

«جمعية معالم المدينة»

هي جمعية غير ربحية تعنى بالتعريف بمعالم المدينة المنورة الشرعية، والتاريخية، وقد تأسست في ١٤٣٩/٤/٢٩هـ، وهي مسجلة لدى وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية برقم (١٠٤٨)، وتهدف إلى:

- نشر الوعي بمعالم المدينة النبوية؛ الشرعية والتاريخية، لجميع فئات المجتمع.
- إثراء التجربة الدينية والثقافية للحجاج والمعتمرين والزوار، وربط وجدانهم بمعالم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.
- تعريف النخب المثقفة بمعالم المدينة وتطورها في عهد المملكة العربية السعودية.
- تدريب المرشدين المتخصصين في معالم المدينة المنورة.
- إيصال رسالة الجمعية إلى العالم عبر التقنية وأدواتها.

ومن أنشطتها:

- تنفيذ جولات ميدانية حول معالم المدينة النبوية.
- استضافة النخب المثقفة وإكرامهم.
- إعداد ونشر مادة علمية متخصصة في معالم المدينة النبوية بلغات متعددة.
- إقامة دورات تدريبية ولقاءات تعريفية وإثرائية بمعالم المدينة النبوية.